﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

فضيلة الشيخ عبد الرزاق البدر

حفظه الله تعالى

النسخة الإلكترونية (٣)

الشيخ لم يراجع التفريع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب]. أما بعد..

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. إخواني في الله..

إن موضوع هذه الكلمة موضوع مهم جداً، إن موضوع هذه الكلمة هو مع أعظم الكلمات وأجلها وأنفعها وأطيبها وأحسنها وأزكاها، إن موضوع هذه الكلمة مع كلمة التوحيد (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) جعلنا الله وإياكم من أهلها، ورزقنا الله وإياكم الثبات عليها إلى الممات، فإنه «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلِمِهِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) دَخَلَ الْجَنَّةَ»،^(١) فنسأل الله -تبارك وتعالى- أن يجعل آخر كلامنا وكلامكم (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

أيها الإخوة.. إن هذه الكلمة العظيمة والجليلة التي هي أعظم كلمة على الإطلاق وأجل كلمة على

(١) أخرجه أبو داود (ح ٣١١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه الألباني رضي الله عنه.

الإطلاق، جاء في بيان فضلها ورفع مكانتها وجلالة قدرها نصوص كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسأشير إلى قليل من هذه النصوص تنبيهاً بذلك على الكثير.

نصوص كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ دالة على فضل هذه الكلمة العظيمة وعظم شأنها وجلالة قدرها.

ومما أبدأ به في بيان فضل هذه الكلمة أن أهلها لهم البشري في الدنيا والآخرة بكل خير كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ هذه هي (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۖ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأُولَاءُ ۗ ﴿٨﴾﴾ [الزمر].

أيها الإخوة..

نحن - إن شاء الله - أهل (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، نحن أهل هذه الكلمة العظيمة، ولهذا نتصف بأوصاف أهلها، أهل هذه الكلمة العظيمة الذين ساق الله - جل وعلا - لهم في هذه الآية البشرية قال: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ لماذا عمم ولم يقيّد؟ ليشمل البشري بكل خير، البشري بالجنة، البشري بالنجاة من النار، البشري بسعادة الدنيا والآخرة، كل خير يخطر في بالك وكل سعادة تدور في خيالك فإنها داخله تحت قوله - تعالى -: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ بشري عظيمة، لم يقيّد البشري، لماذا؟ ليشمل البشري بكل خير ليشمل البشري بكل سعادة دنيوية ودنيوية ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأُولَاءُ﴾، وصفهم بأنهم ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾؛ خلق كريم وصفة نبيلة من صفات أهل (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، إذا اجتمعوا في بيوت الله وذكروا بكلام الله وكلام رسوله ﷺ استمعوا، كما كان الصحابة عندما يسمعون كلام الله وكلام رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كانوا في حالة وُصفت بأنها كأنما على رؤوسهم الطير، يستمعون كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

نعم، إذا كان الكلام لغو وباطل إذا كان الكلام كفر وضلال فالإعراض واجب.

أمّا إذا كان الكلام لا إله إلا الله محمد رسول الله .. إذا كان الكلام القرآن والسنة .. إذا كان الكلام حديث رسول الله فإن أهل (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) يستمعون الذكر ويُنصتون له ولا يعرضون عنه، طيبة نفوسهم بذلك، سجيّة قلوبهم بذلك، تطيب لسماع كلمة التوحيد (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، تطيب نفوسهم

للبشارة بهذه البشرى العظيمة التي سيقت لأهل (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) حقًا واجعلنا من أنصارها صدقًا واحشرنا يا ذا الجلال والإكرام يا حيّ يا قيّوم مع أهل (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).
أيها الإخوة..

إن فضائل هذه الكلمة العظيمة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ كثيرة لا تحصى، وعديدة لا تستقصى، وقد قال شيخ الإسلام وهو يعدد ويبين فضائل هذه الكلمة العظيمة قال رَجُلٌ لِلَّهِ: (وفضائل هذه الكلمة وحقائقها فوق ما يعدّه العادّون ويحصيه المحصون)، فضائل هذه الكلمة لا تعدّ ولا تحصى، لا تحصى بعدّ، وقد جاء الشيء الكثير في بيان فضلها ورفعة مكانتها في كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ومن فضائل هذه الكلمة في القرآن الكريم: أنّها كلمة الحق، كما قال -جلّ وعلا-: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف]، قال المفسّرون: (إلا من شهد بـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وهو يعلم معناها).

ومن فضائل هذه الكلمة: أنّها الكلمة الطيبة قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم].

من فضائل هذه الكلمة: أنّها القول الثابت الذي يثبت الله الذين آمنوا عليه في الحياة الدنيا وفي الآخرة، -جعلني الله وإياكم منهم بمنه وكرمه-، يقول تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم].

ومن فضائل هذه الكلمة: أنّها هي الكلمة الباقية التي جعلها إبراهيم ﷺ في عقبه، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف]، هذه الكلمة الباقية، الكلمة الطيبة، الكلمة الكريمة التي جعلها إبراهيم وصية في عقبه (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾، هذا هو (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ البراءة من كلّ معبود سوى الله وإخلاص العبادة لله -تبارك وتعالى-، فهذا من فضائل هذه الكلمة.

هذه بعض فضائلها في كتاب الله تبارك وتعالى.

ومن فضائلها في سنة الرسول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ما رواه أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِنْهَا مَدُّ الْبَصَرِ ذَنْبٌ وَخَطَايَا وَأَثَامٌ، يُقَالُ لَهُ: أَتَنَكَّرَ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، أَتَنَكَّرَ مِنْ هَذَا شَيْءٍ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: أَلَكِ حَسَنَةٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ مَا لِي مِنْ حَسَنَةٍ، فَيَقُولُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعَدْلُ الْكَرِيمُ -: إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ، فَيُخْرِجُ لَهُ بَطَاقَةً فِيهَا (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: يَا رَبِّ وَمَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟! فَيَقُولُ اللَّهُ: إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ، فَتُوضَعُ الْبَطَاقَةُ فِي كَفِّهِ وَالسَّجَلَاتُ فِي كَفِّهِ» يقول الرسول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «فَتَقُلْتُ الْبَطَاقَةَ وَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ، وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»،^(١) لو لم يأتِ في بيان فضل هذه الكلمة وعظيم قدرها إِلَّا هَذَا الْحَدِيثَ الْعَظِيمَ إِلَّا هَذَا الْحَدِيثَ الْكَرِيمَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ لِكُفْيِ، فَكَيْفَ بِالْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ وَالنُّصُوصِ الْعَدِيدَةِ الْمَبِينَةِ لِفَضْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ؟! أَيْهَا الْإِخْوَةَ..

هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ جَاءَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ رَوَاهُ حَمْزَةُ الْكِنَانِيُّ فِي كِتَابِهِ «جِزَاءُ الْبَطَاقَةِ» فِيهِ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مَجْلِسٌ حَدِيثِي رَوَى فِيهِ هَذَا الرَّجُلُ جَمَلَةً مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ ضَمْنِهَا هَذَا الْحَدِيثَ الْكَرِيمَ حَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَأَشْتَهَرَ هَذَا الْجِزَاءُ بِجِزَاءِ الْبَطَاقَةِ أَوْ مَجْلِسِ الْبَطَاقَةِ؛ لِأَنَّ مِنْ أَحَادِيثِهِ حَدِيثَ الْبَطَاقَةِ.

رَاوَى الْجِزَاءُ أَبُو حَمِصَةَ الدَّمَشْقِيُّ رَاوَى الْجِزَاءُ عَنِ حَمْزَةَ الْكِنَانِيِّ - وَالْإِسْنَادُ إِلَيْهِ صَحِيحٌ ثَابِتٌ - يَقُولُ: (وَلَمَّا كُنَّا فِي هَذَا الْمَجْلِسِ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْمَجْلِسَ، لَمَّا بَلَغَ حَمْزَةَ الْكِنَانِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ زَعَقَ وَسَقَطَ فِي لِحْظَتِهِ وَكَانَتْ نِهَايَةُ حَيَاتِهِ اسْتِبْشَارًا بِهَذَا الْحَدِيثِ وَتَأْتُرًا بِهِ)، لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْبَشَارَةَ، لَمَّا سَمِعَ أَنَّ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَضَعَتْ فِي كَفِّهِ وَالسَّجَلَاتُ الْكَثِيرَةَ فِي كَفِّهِ، أَنَّ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تَثْقُلُ، سَقَطَ وَمَاتَ مِنْ لِحْظَتِهِ مَتَأْتُرًا، وَالْإِسْنَادُ ثَابِتٌ وَصَحِيحٌ.

وَهَذَا يَبِينُ عِظَمَ رِقَّةِ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ وَتَأْتُرَهُمْ بِسَمَاعِ حَدِيثِ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَاسْتِبْشَارَهُمْ بِمَا يُبَيِّنُ لَهُمْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ مَا تَمَاتَ، يَقُولُ أَبُو حَمِصَةَ: وَأَنَا مِمَّنْ شَهِدَ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (ح ٢٦٣٩) ، وَابْنُ مَاجَةَ (ح ٤٣٠٠) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحِ (ح ١٣٥) وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ فِي «الْمُسْنَدِ» أَحْمَدُ شَاكِرٌ (ح ٦٩٩٤).

جنازته والإسناد ثابت وصحيح إلى أبي حمّصة راوي الجزء، عندما سمع هذا الحديث، فهو يبين فضل هذه الكلمة.

ولمّا قال أحد الصّحابة - كما في المسند - لرسول الله ﷺ لما أمر أن يقول له قولاً لا يسأل عنه أحدًا بعده، قال: «إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاتَّبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا» هكذا قال له الرسول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، فقال الرَّجُلُ: يا رسول الله؛ أمن الحسنات (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؟ فقال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ». (١)

ومن فضائل هذه الكلمة: في حديث رسول الله ﷺ ما صحّ عنه في يوم عرفة حيث قال: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)»، (٢) فأفضل كلمة قالها نبي، أفضل كلمة قالها الأنبياء كلهم (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فهي أفضل الكلمات وأعظم الكلمات وأجل الكلمات (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

ومن فضائل هذه الكلمة قوله ﷺ وقد تقدّم معنا الحديث: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٣)، ومن نعمة الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - على عبده المؤمن صاحب هذه الكلمة الذي يداوم على ذكرها ويلهج بها في كل وقت ويحافظ عليها علمًا وعملاً وتطبيقًا من نعمة الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عليه ومنته به أنه يميتة عليها، ومن أماته الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - على (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) دخل الجنة؛ لقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) دَخَلَ الْجَنَّةَ»، والله - جلّ وعلا - يثبت أهل الإيمان - كما تقدّم معنا - يثبتهم على القول الثابت فيكون آخر كلامهم (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

ومن القصص الصحيحة الثابتة في بيان تثبيت الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لعبده المؤمن عند موته فيقول: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، قصة أبي حاتم الرازي، وهي قصة عجيبة نافعة، عندما حضرته الوفاة اتفق ابنه عبد الرحمن بن أبي حاتم وزميله أبو زرعة الرازي على أن يأتيا عنده ليذكّراه بهذه الكلمة فأشار أبو زرعة لعبد الرحمن أن ابدأ، فأراد أن يبدأ ليذكره بهذه الكلمة فساق الإسناد من أوله، لمّا انتصف في الإسناد كأنّه تأثر أو نحو ذلك فلم يستطع أن يكمل فبدأ أبو زرعة الرازي - هؤلاء كلهم سيذكرونه بها -

(١) أخرجه أحمد في المسند (ح ٢١٣٧٩)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (ح ٣٥٨٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وصححه الألباني في الصحيحة (ح ١٥٠٣).

(٣) أخرجه أبو داود (ح ٣١١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رضي الله عنه.

فبدأ بالإسناد من أوله فلما انتصف به تلعثم ولم يستطع أن يكمل، فقال هذا الذي حضرته الوفاة: كأنكم تريدون أن تقولوا حديث فلان قد حدثني فلان عن فلان عن فلان قال ﷺ: « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) دَخَلَ الْجَنَّةَ » ومات من لحظته، فمات على (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). اللهم أمتنا على (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، اللهم أمتنا على (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، اللهم اجعل آخر كلامنا في هذه الحياة (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). هذه الكلمة -يا إخوان- كلمة عظيمة، كلمة جليدة، كلمة رفيعة القدر عالية المنزلة، ينبغي أن لا نتهاون بها، وينبغي أن نهتم بها غاية الاهتمام.

هذه الكلمة هي وصية الأنبياء كلهم من أولهم لآخرهم لأقوامهم، ما من نبي بعثه الله إلا أول ما يقرع سمع أقوامه منه: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، أول كلمة يبدأ بها الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم يقول لهم: قولوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، كما قال -تعالى-: ﴿ وَفَدَّ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ [النحل: ٣٦]، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء].

هذه هي وصية الأنبياء، وصية الأنبياء لأقوامهم هي (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) في كل وقت وفي كل مناسبة ولكل أحد، حتى وإن كان المخاطب من أهل (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فإنه يُذكر بها ويُبين له أهميتها وعظم شأنها، ومن أدلة ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ ﴾ [البقرة: ١٣٣] هذه (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ﴾ أو صاهم بـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وهم أنبياء، وإبراهيم الخليل -عليه السلام- يقول في دعائه: ﴿ وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم]، فأنبياء الله ورسله كلهم من أولهم إلى آخرهم ينشرون التوحيد ويبينون للناس (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ويوضحون معناها ويدعون الناس إليها.

وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ كان يدور في طرقات مكة ويقول: «قُولُوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (تُفْلِحُوا)»^(١) وفي الحديث دلالة على أن قائل (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) له الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، كان يدور في طرقات مكة ويقول: «قُولُوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (تُفْلِحُوا)»، وعمه أبو لهب يدور خلفه ويصدُّ

(١) أخرجه أحمد في المسند (ح ١٥٩٦٥) من حديث ربيعة بن عبد الله الديلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عنه ويقول: إِنَّه صابى فلا تَبَعوه، وينهى النَّاس عن سماع قوله: «قُولُوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تَفْلِحُوا».

هذه الكلمة فضائلها كثيرة لا تُحصى وعديده لا تستقصى، ولو أخذنا نعدّد فضائل هذه الكلمة لطال الوقت؛ ولكن من باب كسب الوقت أتحدّث عن أمرٍ مهمّ جدًّا يتعلّق بهذه الكلمة؛ وهو قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في الآية المتقدّمة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ العلم بـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ما هو؟ وبدأ به -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قبل العمل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ﴾ [محمد: ١٩] العلم بـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) قبل القول والعمل، العلم بـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لا بدّ منه، ولا بدّ من فهمها، وضبطها، ومعرفة معناها، ومعرفة شروطها في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

وشيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى الرَّحْمَةُ الواسعة- له رسالة في صفحة واحدة أو في صفحتين في بيان شروط هذه الكلمة، ينبغي على كلّ مسلم أن يحفظها غيبًا بأدلتها، ذكر فيها شروط (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وذكر أدلّة كلّ شرطٍ من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

هذه الكلمة -الذي هذا شيء من فضلها وقليل من فوائدها ومنافعها- هذه الكلمة كما بيّن أهل العلم لا تنفع قائلها إلّا إذا أتى بشروطها وضوابطها التي جاءت في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، هذه الشُّروط أهل العلم من قديم وهم يبيّنونها وينبّهون على أهمّيتها وعِظَم شأنها.

ومن كلام السلف قديمًا في بيان عِظَم أهمّية العناية بشروط (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) قول وهب بن منبّه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عندما قيل له: أليس (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مِفْتَاح الجنة؟ قال: (بلى) ولكن ما من مِفْتَاح إلّا وله أسنان فإن جئت بمِفْتَاح له أسنان فُتِح لك وإلّا لم يفتح؛ يشير بذلك إلى شروط (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

وقيل للحسن البصري رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: أليس من قال: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) دخل الجنة؟ قال: (بلى) من أدّى حقّها وفرضها دخل الجنة؛ يشير بذلك إلى شروط (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

ولما دفن الفرزدق الشّاعر زوجته قال له الحسن البصري رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: ماذا أعددت لهذا المقام؟ قال: أعددت له (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) منذ سبعين سنة، قال: (نعمة العدة؛ ولكن إن لـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) شروطًا فإيّاك وقذف المحصنات)، فنبهه على أهمّية العناية بشروط (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

فلها شروط وضوابط جاءت في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، فحريّ بنا -إخواني- أن نتذاكر هذه الشُّروط فالذي يعلمها يزداد علمًا ويتذكّر ويزداد ذكرًا، والذي لا يعلمها يتعلّم شيئًا لم يكن يعلمه، والذي نسيها يتذكّر، وهذا شأن الصّالحين والمؤمنين المتّقين يتذاكرون أمور الدّين ما علموه وما لا

يعلموه.

شروط (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مهمة وعظيمة وليس أحد ينتفع بقول (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إلا إذا أتم شروطها وضوابطها التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهي شروط سبعة عظيمة على كل شرط منها عشرات الأدلة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ جمعها أحد أهل العلم في بيت واحد فقال:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقٌ مع محبةٍ وانقيادٍ والقبول لها

هذه شروط (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) السبعة جمعها بعض أهل العلم في بيت واحد تسهيلاً لحفظها وضبطها ومذاكرتها ومدارستها.

وأحد أهل العلم يقول في نظم هذه الشروط وفي التنبية أيضاً على أهميتها وهو الشيخ العلامة حافظ حكيمي في منظومته (سلم الوصول) يقول:

وبشروطٍ سبعةٍ قد قيِّدَتْ وفي نصوص الوحي حقاً وردت
فإنَّه لا ينتفع قائلها بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول والانقياد فادري ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبَّه

هذه شروط (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) السبعة نظمها نظماً لطيفاً سلساً جميلاً، وبين أيضاً أهميتها، وبين أيضاً ورودها في كتاب الله وسنة رسوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، قال:

وبشروطٍ سبعةٍ قد قيِّدَتْ وفي نصوص الوحي حقاً وردت
يعني هذه الشروط -وهذه فائدة يا إخوان مهمة جداً- هذه الشروط السبعة التي ذكرها أهل العلم لم يأت بها أحد من هؤلاء العلماء من قبل نفسه، وإنما هي أخذت بالاستقراء والتتبع لنصوص الشرع لكتاب الله وسنة رسوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ولهذا قال الشيخ:

وبشروطٍ سبعةٍ قد قيِّدَتْ وفي نصوص الوحي حقاً وردت
إذا هذه الشروط ليست شيئاً جاء به أحد العلماء من قبل نفسه أو من استتجاهه أو نحو ذلك، وإنما هي استنباط وأخذ بالتتبع والاستقراء لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

نظير ذلك قال أهل العلم: أقسام التوحيد ثلاثة. من أين أخذوا ذلك؟ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾ [مريم]، هذه هي أقسام التوحيد الثلاثة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ [الفاتحة] هذه هي أقسام التوحيد الثلاثة، فأخذت بالتَّبَع والاستقراء لنصوص كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهكذا شروط (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أخذها العلماء بالتَّبَع لنصوص الوحي -نصوص الكتاب والسنة-، وكما أسلفتُ قبل قليل كلُّ شرط منها عليه عشرات الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

* أول هذه الشروط وأعظمها وأهمها هو العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا المُتَنَافِي للجهل، هذا أهمُّ ضابط، ولهذا قال تعالى في الآية المتقدمة: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ ﴾ [محمد: ١٩]، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨١]، قال المفسرون: ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾ أي شهد ب(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي يعلمون معنى ما شهدوا به.

وفي الصحيح من حديث عثمان بن عفان يقول رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) دَخَلَ الْجَنَّةَ»،^(١) فاشترط - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لقبول (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) العلم بمعنى هذه الكلمة العظيمة « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) دَخَلَ الْجَنَّةَ »، ومعلوم أنه إذا انتفى الشرط انتفى المشروط، فالذي لا يعلم معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لم يكن قد أتى بضابطها وشرطها التي تكون مقبولة به، فالعلم بمعنى هذه الكلمة العظيمة أهمُّ ضابط لقبولها.

ويتأكد العناية بدراسة معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إذا علمنا أن هناك اتجاهات كثيرة جدًا ومذاهب عديدة متفرقة كلٌّ منها يفسر (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) بهواه؛ بل منهم من غير لفظ هذه الكلمة وحرّف لفظها ليس فقط المعنى منهم من حرّف لفظ هذه الكلمة حتى تكون موافقة لبدعته.

مثل ما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عن طائفة من غلاة المتصوفة يقولون بوحدة الوجود؛ أي: ليس هناك خالق ولا مخلوق وإنما الوجود وحدة واحدة، فكلُّ ما في الوجود هو الله، ليس هناك خالق ولا مخلوق لا رب ولا مربوب، وإنما كلُّ ما في الوجود هو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، أهل هذه النحلة الباطلة بعضهم كما ذكر شيخ الإسلام حرّف في لفظ هذه الكلمة فكانوا بدل أن يقولوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) يحرّفون ويقولون: (ليس إلا الله) أي لا موجود إلا الله حرّفوها وقالوا: ليس إلا الله، يقول شيخ الإسلام: (وقد كان أهل العلم يسمّونهم اللَّيْسِيَّةَ)، اللَّيْسِيَّةَ لأنهم حرّفوا هذه الكلمة، حرّفوا هذه اللفظة العظيمة

(١) أخرجه مسلم (ح ٢٦).

لتكون موافقةً لبدعتهم.

وبعض إخوانٍ هؤلاء أيضًا أخذوا يقللون من شأن هذه الكلمة العظيمة فماذا قالوا؟ قالوا: الذِّكْرُ على ثلاث مراتب وثلاث درجات: ذكر للعامة، وذكر للخاصة، وذكر لخاصة الخاصة.

أما ذكر العامة فهو (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

وذكر الخاصة هو أن يتلفظ بلفظ الجلالة مفردًا فيقول: الله الله الله ويرددها.

وأما ذكر خاصة الخاصة أن يأتي بالضمير فيقول: هو.. هو هو..

وهذا الذي تسمعونه الآن عن تقسيم هؤلاء ليس شيئًا مضى وانتهى وانقرض؛ بل هو موجود إلى الآن عند المتصوفة ولاسيما غلاتهم، وقد حدثني أحدهم من أحد البلاد عن نفسه هو قبل أن يؤمن بالله تبارك وتعالى عليه بالهداية فماذا قال لي؟ قال: كنا نجلس في المجلس نذكر الله بزعمنا بهذه الطريقة، فنقول: هو.. هو..، فيقول لي هذا الأخ بنفسه: والله الذي لا إله إلا هو إذا استمعت إلى صوتنا خلف الجدار وأنت لا ترانا لا تشكُّ أن هؤلاء الذين خلف هذا الجدار كلاب تنبح، نفس الأخ الذي تاب وهداه الله يقول لي أنا شخصيًا يقول لي: والله إذا سمعت صوتنا وأنت خلف الجدار لا ترى أشخاصنا لا تشكُّ عند سماع هذا الصوت أن الذين خلف هذا الجدار كلاب تنبح، يقول: نقول: هو.. هو.. هو يذكرون الله، أما (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فهذا ذكر العامة، وقد قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وقد سمعنا قبل قليل: «وَحَيْرٌ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)»،^(١) فهؤلاء بعض من اجتهد في التقليل من هذه الكلمة أو تحريف لفظها.

أما تحريف معناها أو عدم فهم معناها وضبطه فحدث عن هذا الموضوع ولا حرج كثيرة، لأنه لما تقرّر في نفوس كلٍّ منهم إلى الإسلام عظم شأن هذه الكلمة وجلالة قدرها ورفعة مكانتها وكثرة النصوص في فضلها صار كلُّ أحد عنده هوى وبدعة يفسر بدعته وهواه ويجعلها هي معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

والذين درسوا كتب المقالات وعقائد الطوائف الضالة المنحرفة عن عقيدة أهل السنة والجماعة يجد فعلاً أن كل طائفة عندها عقيدة باطلة عندها مذهب منحرف يجعل (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) دالة على ما

(١) أخرجه الترمذي (ح ٣٥٨٥) من حديث، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (ح ١٥٠٣).

عنده، ولهذا تجده ينادي إلى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ثم يفسرها بما يشتهي ويهوى.

وأهل العلم ذكروا نماذج على ذلك كثيرة، ومن ذلك ما ذكره صاحب (تيسير العزيز الحميد) حفيد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ذكر جملة من هذه النماذج ممن يفسر (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) بهواه وبمعتقده فذكر أن منهم من يفسر (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) بأنه لا قادر على الاختراع إلا الله، ومنهم من يفسر (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) بأنه لا غني بنفسه عن سواه إلا الله، ومنهم من يفسر (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) بأنه لا خالق إلا الله ولا مدبر إلا الله، منهم من يفسر (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) بأنه لا موجود إلا الله.. وهكذا تجد تفسيرات كثيرة تأتي على ألسن كثير من هؤلاء وهي ناتجة إما لفساد الاعتقاد الذي أملى عليهم تفسير هذه الكلمة، أو ناتج عن جهلهم بلغة العرب التي من ألفاظها ومن كلماتها (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فتجدهم يفسرون هذه الكلمة بغير معناها.

ولهذا يتعين على كل مسلم أن يعلم أنه (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وأن يعلم معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) علمًا صحيحًا سليمًا بعيدًا عن الفهوم المعوجة والاتجاهات الضائعة المنحرفة، يفهم (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) الفهم الصحيح الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

وقبل الإشارة إلى بيان معنى هذه الكلمة من خلال كتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- أشير ولو إشارة سريعة إلى ما في هذه التعريفات السابقة من فساد وبدون إطالة.

فالذي يقول مثلاً (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) معناها (لا موجود إلا الله) ماذا يعني هذا؟ أو ماذا يلزم من هذا؟ أن كل موجود هو الله، وكفى بتصور مدلول هذه الكلمة دلالة على فساد معناها، فمعنى ذلك أن كل موجود هو الله، (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لا موجود إلا الله، يعني كل موجود هو الله، فيكون ذلك اعتقاد أهل وحدة الوجود الذي أشرنا قبل قليل إلى فساده وبطلانه، الذي يقول: ليس هناك خالق ولا مخلوق، ليس هناك رب ولا مربوب.

والذي يقول: إن (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) معناها (لا خالق إلا الله أو لا رازق إلا الله)، لاشك أن هذا داخل في ضمن معناها، لكن ليس هو معناها، ليس هذا هو معنى هذه الكلمة.

كذلك الذي يقول: (لا غني بنفسه عن سواه إلا الله) أو نحو ذلك ليس هذا هو معنى الكلمة.

ولو كان معنى هذه الكلمة لا خالق إلا الله أو لا رازق إلا الله ولا غني بنفسه عن سواه إلا الله، لو كان

هذا هو معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لما تردّد المشركون زمن النبي ﷺ في قبول هذه الكلمة، لماذا؟ لأنهم هم

أنفسهم يعتقدون أنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كما قال - جلّ وعلا - : ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] ، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِهِمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزحرف: ٨٧] ، فيعترفون هم، يعترفون أنّ خالق هذا الكون وموجده ومدبره هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يقرّون بذلك، فلو كان المراد بقول: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أي اعتقاد أنه لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ولا مدبر إلا الله كما تردّد هؤلاء القوم في قبولها، ولكن أهل الكلام الباطل أهل الكلام المذموم الذين يفسّرون هذه الكلمة بهذا المعنى هذا ناتج عن انحراف ناشئ عندهم في الاعتقاد أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بقوله: (إنّ غاية الاعتقاد عند هؤلاء هو توحيد الربوبية وإثبات وجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى) فلهذا يجعل هؤلاء معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) هو الاعتراف بأنّ الخالق الرَّازِق المنعم المدبر لهذا الكون هو الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، ولهذا تجد هؤلاء المتكلّمين ينشغلون في كتابات كثيرة وفي دروس عديدة في إثبات وجود الله، مع أنّ وجود الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أمر مركّز في الفطر لا يحتاج إلى بيان ولا يحتاج إلى إيضاح، عوام المسلمين وغيرهم ثابت في فطرتهم وجود الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، بل إنّ هذه الحقيقة لا يجهلها المشركون زمن النبي ﷺ؛ لكن علماء الكلام الذين اشتغلوا بعلم الكلام الباطل يُفنون أعمارهم وكتاباتهم وأوقاتهم في الدلالة على وجود الله.

ولهذا من القصص الطريفة النافعة قصّة أحد هؤلاء المتكلمين وهو الرّازي كان يمشي في الطريق ومعه جمع غفير من التلاميذ وله هيبه في مشيته فرأته امرأة عجوز أعرابية عامية فقالت: من هذا؟ قالوا: ما تعرفينه؟! هذا الرّازي عنده ألف دليل على وجود الله - لأنهم مشتغلين بالكلام والقضية عندهم إثبات وجود الله - فقالت المرأة بفطرتها: والله لو لم يقم في قلبه ألف شك ما أوجد عنده ألف دليل. فالمسألة هذه ما تحتاج

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه الواحد

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] ، ﴿سَرِيهَمٌ أَيَّتَنَابِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] ،

فالمسألة ما تحتاج إلى هذا الجهد، ما هو الذي يحتاج؟

الذي يحتاج هو مسألة العبادة التي دلّت عليها هذه الكلمة إخلاص العبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فالشاهد أنّ الانحرافات كثيرة وعديدة جدًّا في تفسير هذه الكلمة، ولهذا ينبغي - يا إخوان - أن نعتني بدراسة هذه الكلمة ودراسة معناها مع علماء السنّة الذين لزموا الكتاب والسنّة وأخذوا معناها من الكتاب والسنّة، نفهم معنى هذه الكلمة وندرس هذه الكلمة على هؤلاء العلماء.

أما الذين يفسرون هذه الكلمة استناداً إلى اتجاهات معيّنة أو استناداً إلى مذاهب منحرفة أو أهواء محدثة أو نحو ذلك هؤلاء لا نلقي لهم بالاً ولا نستمع إلى تفسيرهم لـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).
وهذه قضية -يا إخوان- معروفة، كل صاحب اتجاه أو صاحب مبدأ أو صاحب فكرة يفسر (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) حسب ما يريد.

ولهذا يجب -يا إخوان- على كل مسلم أن يعنى بضبط معنى هذه الكلمة وفهمها فهماً صحيحاً متلقياً عن علماء السنة الذين يبينون سنة رسول الله ﷺ، عن هؤلاء يؤخذ معنى هذه الكلمة.
والشيخ الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ أَكْثَرَ كتاباته في بيان (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، ويخاطب في كتاباته كافة الطبقات، يكتب فيها للعوام، ويكتب فيها للمتوسطين، ويكتب فيها للعلماء، ويكتب فيها لكل إنسان، وكانت كتبه لكل مستوى تحفظ في المساجد إلى وقت قريب يحفظها العوام، وفيها البيان الشافي والتوضيح الكافي لمعاني هذه الكلمة الجليلة كلمة التوحيد (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).
أيها الإخوة...

معنى هذه الكلمة العظيمة (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) قد جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسأعرض آيات من كتاب الله وأحاديث من سنة رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- على تفسير هذه الكلمة أحسن تفسير وعلى بيانها أحسن بيان:

فمن الآيات المبيّنة لمعنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] هذا هو معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) الكفر بالطَّاغُوت والإيمان بالله.

ويقول -تعالى-: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢] يعني استمسك بـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ لأن العروة الوثقى هي (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فإسلام الوجه لله والإحسان في عبادة الله هو معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) بإخلاص العبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وممَّا يُبَيِّنُ معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) الآية التي تقدّمت معنا ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف]، فـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ): البراءة من كل معبود سوى الله وإخلاص العبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ومما يبيِّن معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].. ونحو هذه الآيات.

فـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) معناها إخلاص العبادة لله تعالى.

ومن سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس في ذكر بعثة معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»،^(١) هذا فيه دلالة على أهمية العناية بـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) والبدء بها قبل كل شيء، في الدعوة وفي التعليم وفي تلقين الصبيان يُبدأ بـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، بل حتى المولود عندما يخرج من بطن أمه ويستهل صارخاً يشرع أن تؤذن في أذنه تقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. فأول ما يسمع عندما يخرج إلى هذه الحياة يسمع التوحيد يسمع (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فأول ما يبدأ به (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

الشاهد هذا الحديث كما أن فيه دلالة على أهمية البدء والعناية بـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ففيه دلالة على معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ لأنَّ في بعض طرقه التي في الصحيحين جاء في بعض الألفاظ: «فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله»، وفي بعض الألفاظ: «فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يعبدوا الله»، فهذا هو معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) توحيد الله وإخلاص العبادة لله تبارك وتعالى.

ومما يبيِّن (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) من سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام- قوله: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءً دَخَلَ النَّارَ».^(٢)

والذي يقرأ مثلاً «كتاب التوحيد الذي هو حقُّ الله على العبيد» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله يجد الآيات الكثيرة والأحاديث العديدة المبيِّنة والشارحة والموضحة لمعنى هذه الكلمة العظيمة الجليلة كلمة التوحيد (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

هذه بعض النصوص في بيان معنى هذه الكلمة.

ويتلخَّص من ذلك أن معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إخلاص العبادة لله -تبارك وتعالى- والبعد عن الشرك أو البراءة من الشرك كلِّه صغيره وكبيره؛ هذا هو معنى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، ولهذا يقول العلماء: إنَّ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

(١) أخرجه البخاري (ح ١٤٥٨)، ومسلم (ح ١٩)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (ح ٤٤٩٧)، ومسلم (ح ٩٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

إِلَّا اللَّهُ) مشتملة على ركنين عظيمين وأساسين متينين: النفي والإثبات.

أما النفي فهو البراءة من كل معبود سوى الله.

وأما الإثبات فهو (إِلَّا اللَّهُ) إخلاص العبادة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-. فهذا معنى هذه الكلمة العظيمة.

أيضاً من النصوص المهمة الجديرة بالانتباه في بيان معنى هذه الكلمة من كتاب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-

في بيان معنى قول (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُ

اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ١٦].

فهذه الآيات فيها بيان قيد مهم وضابط عظيم في فهم معنى هذه الكلمة؛ لأن (لَا) نافية للجنس وهي

تحتاج إلى مبتدأ وخبر، (لَا إِلَهَ) ف(لا) تحتاج إلى اسم وخبر، ف(لَا إِلَهَ) اسمها والخبر محذوف

مقدّر، بعض أهل البدع يجعل هذا المحذوف المقدّر هو: موجود فيقول: لا إله موجود إلا الله، فيكون

بهذا الفهم الباطل: كل إله موجود بحق أو باطل هو الله؛ لأنه أصبح معناها: لا إله موجود إلا الله، فهذا

التقدير تقدير باطل.

أما تقديرها فقد دلّ عليه كتاب الله دلّ عليه الآيات المتقدمة دلّ عليها قوله -تعالى- في سورة الرعد:

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِيَةٍ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دَعَا

الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

والآية الأخرى في سورة لقمان: ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ

الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠].

والآية الثالثة في سورة الحج: ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ

اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وكذلك قوله -تعالى-: ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ يُمْنِي الْمَوْتَى وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦].

فالمحذوف المقدّر دلّ عليه كتاب الله؛ وهو (حق)؛ لا إله حق إلا الله، فيكون معنى هذه الكلمة: لا

معبود حق يستحق العبادة غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

أما غير الله فهو معبود باطل، كل من عبد سوى الله فعبادته باطلة.

المعبود بحق من هو؟ العلي الكبير كما ختم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الآية المتقدمة بذلك ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُ

اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ ﴿ أيا كان هذا الدُّون ﴿ هُوَ الْبَطْلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿ [الحج: ٦٢] يقول أهل العلم: ختم الله -تبارك وتعالى- هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين ومن القواعد المتقررة عند أهل العلم أن كل آية تُختم بأسماء حسنى لله فإن الاسم الذي ختمت به الآية له تعلق بالمعنى الذي ذكر في الآية، فالله ختم هذه الآية بقوله: ﴿ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿ إشارة إلى أن المعبود الحق هو العلي الكبير ليس سواه، والعلِيُّ الكبير هو الله وحده. هذا الوصف ليس إلا لله، - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - هو العلي المطلق العلو الكامل: علو الذات، وعلو القهر وعلو القدر.

هو بذاته -تبارك وتعالى- فوق سماواته فهو العلي: علو الذات، وعلو القهر ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٨]، وعلو القدر ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الحج: ٧٤] فجميع معاني العلو لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، والكبير معاني هذه الكلمة كلها على التمام والكمال على أكمل وجه ثابت لله -تبارك وتعالى-، فالمعبود بحق هو العلي الكبير دون من سواه.

* الشَّرْطُ الثَّانِي لهذه الكلمة العظيمة: هو اليقين المنافي للشك والريب، واليقين هو كمال العلم، لأن العلم مراتب، علم اليقين، فلا بد في (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أن يكون عند قائلها يقين تام ويقين كامل لا يخالطه شك ولا يداخله ريب في هذه الكلمة العظيمة، اليقين الذي لا شك فيه ولا ريب، ولهذا قال الله -تبارك وتعالى- في وصف المؤمنين ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [الحجرات: ١٥]، أي: أيقنوا ولم يشكوا.

ويقول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ- يقول ﷺ: «فَمَنْ لَقِيَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ»، (١) ويقول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في حديث أبي هريرة الآخر: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، (٢) فلا بد من اليقين، واليقين هو كمال العلم، فالذي يقول: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لا بد أن يكون قلبه مستيقنًا بهذه الكلمة لا يداخله فيها شك ولا يخالطه فيها ريب.

* الشَّرْطُ الثَّلَاثُ: هو الإخلاص المنافي للشرك والرياء، ومعنى ذلك أن يكون قائل (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

(١) أخرجه مسلم (ح ٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (ح ٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مخلصاً بعمله وجه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، والإخلاص في العمل أن يكون صافياً نقياً ليس به شائبة شرك ولا شائبة رياء؛ لأنه إذا دخله شيء من ذلك لا يقبله الله، قال تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»^(١).

ومما بيّن معنى الإخلاص في اللغة وأذكر الآية لأن فيها فائدة قول الله ﷻ في سورة النحل: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا بِطَوْبِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِئْسَ خَالِصًا سَاغِيًا لِلشَّرِيرِينَ ﴿٦٦﴾﴾، هذا لنا فيه عبرة كما أخبر ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، اللبن الأبيض الصافي النقي الذي نستسيغه ونشربه من أين يخرج؟ يخرج كما أخبر الله من بين فرث ودم ولا نرى فيه قطعة دم ولا قطعة فرث ويخرج من بين الفرث والدم، ونحن نعلم أنه يخرج من بين الفرث والدم ونستسيغه، هذا ممّا بيّن معنى الإخلاص؛ أن يكون العمل صافياً ونقياً ليس فيه أي شائبة، يخلصه العابد من كل شائبة، شائبة الشرك أو الرياء أو السُّمعة ويخلصه من ذلك كله ويجعله صافياً نقياً لله تعالى، فإذا صَلَّى لله، إذا ذبح لله، وإذا نذر لله، وإذا خاف من الله، وإذا توكل على الله، وإذا قام بأي عبادة من العبادات لا يبغي بذلك إلا وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فلا بد من الإخلاص.

أمّا إذا دخل الشرك في العمل أحبطه وأفسده ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام]، ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر]، فلا بد من إخلاص العمل كله لله، ولهذا يقول تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [البينة: ٥]، ويقول: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].. وغيرها من الآيات، فهذا شرط لا بد منه .

* الشرط الرابع : الصدق المنافي للكذب، والصدق هو أن يكون ما يقوله العبد بلسانه مطابقاً لما في قلبه، موافقة القول الذي يكون باللسان لما يكون في القلب، يوافق قلبه لسانه ويوافق لسانه قلبه، هذا الصدق، ولهذا إذا كان قائل: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ليس صادقاً بها لا يقبلها الله، بل إن هذا هو صفة المنافقين كما قال الله عنهم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون] كاذبون في ماذا؟ كاذبون في أن ما قالوه بألسنتهم لا يوافق ما في قلوبهم، ولهذا يشترط في قول (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أن يكون صادقاً بها، ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) صادقاً بها دخل الجنة» فاشترط لقبول (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) الصدق.

* الشرط الخامس لهذه الكلمة: المحبة المنافية للبغض والكراهة، أن يحب هذه الكلمة العظيمة

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويحبُّ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- محبة لا يشارك فيها أحدًا، يجعلها خالصةً لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، محبة العبادة لا يجعل مع الله ولا يسوي مع الله أحدًا في هذه المحبة ويخلصها لله، وذلك بأن يميل بكلية قلبه إلى الله؛ فيحب الله من كل قلبه.

ثم ينتج عن هذه المحبة الخالصة العظيمة ينتج عنها وتثمر محبة كل ما يحبه الله، عندما يحب العبد ربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- محبة العبادة الصحيحة الكاملة التي لا يشرك مع الله فيها غيره ينتج عنها محبة كل ما يحبه الله، فيحب الأنبياء، ويحب الأولياء، ويحب المؤمنين، ويحب الصالحين، ويحب القرآن، ويحب السنة، ويحب الصلاح، ويحب الاستقامة، ويحب كل ما يحبه الله، وهذا أوثق عرى الإيمان كما قال ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله والبغض في الله»^(١) فلا بد من المحبة المنافية للكره، أن يكون قائل هذه الكلمة قد جاء بهذا الضابط العظيم وهو المحبة المنافية للكره، محبة الله ومحبة كل ما يحبه الله، وينطلق بعد ذلك فيما يحبه من محبة الله وفيما يبغضه مما يبغض الله، فيكون حبه وبغضه وولاؤه وبرائه في الله والله، ويحب المرء لا يحبه إلا الله ويبغض المرء لا يبغضه إلا الله، فينتقل فيما يحب ويبغض مما يحبه الله ويبغضه، فهذا شرط وضابط من ضوابط (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

* الشرط السادس: الانقياد المنافي للترك، والانقياد هو الاستسلام، أن يسلم العبد وجهه لله ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢]، يعني الذي يسلم وجهه إلى الله هو المتمسك بـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فلا بد لقائل (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أن يكون مسلمًا وجهه إلى الله بمعنى منقاد ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسَلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤] يعني انقادوا، ينقاد لأمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، يمثل أمر الله، يطيع الله، يطيع رسول الله ﷺ، ينقاد لأمر الله، فإذا جاءه الأمر قام به وفعله، وإذا جاءه النهي تركه، وإذا جاءه الخبر صدقه، منقاد لكل ما يأتيه من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، فهذا لا بد منه لقائل (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فإذا كان لا ينقاد فما حكمه؟ إن كان الذي يتركه كفرًا كفرًا، وإن كان الذي يتركه من كمال الإيمان الواجب نقص كمال إيمانه الواجب بحسب ما ترك، وإن كان الذي تركه من كمال الإيمان المستحب نقص من كمال الإيمان المستحب بما ترك، فلا بد من الانقياد وفعل أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وفعل أمر الرسول ﷺ ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسَلِمُوا لَهُ﴾.

(١) أورده الألباني في الصحيحة (ح ٩٩٨). وقال: الحديث بمجموع طرقه لا ينزل على مرتبة الحسن على الأقل، والله أعلم.

ومن الآيات المبيّنة لعظم انقياد من تم في قلوبهم قبول (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) والإذعان لـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) مما بيّن لكم كمال الانقياد والاستسلام قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهِدِينِ ﴿٩١﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩٢﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿٩٣﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿٩٤﴾ قَالَ يَأْتِيكِ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴿٩٦﴾ هَذَا مَوْطِنَ الشَّاهِدِ ﴿٩٧﴾ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿٩٨﴾ هَذَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عليه السلام أَمْرَهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِمَاذَا؟ أَمْرَهُ بِأَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ وَأَسْلَمَ أَمْرَهُ لِلَّهِ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ؛ يَعْنِي وَضَعَ السَّكِينِ عَلَىٰ رِقْبَتِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يَنْفِذَ أَمْرَ اللَّهِ مُسْتَسْلِمًا لِأَمْرِ اللَّهِ مُنْقَادًا لِأَمْرِ اللَّهِ ﴿٩٩﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٠﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَّيَّرَ بِهِ عليه السلام ﴿١٠١﴾ قَدْ صَدَقَتِ الرَّبِّيَا ﴿١٠٢﴾ [الصفات]، الشَّاهِدُ مِنَ الْآيَةِ -حَتَّىٰ نَنْتَبِهَ- بَيَانُ مَعْنَىِ الْاسْتِسْلَامِ -أَيِ الْانْقِيَادِ- لِأَمْرِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَنَحْنُ لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ وَلَمْ نَتَعَبَّدْ بِهِ وَإِنَّمَا أَمَرْنَا بِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالْمُسْلِمُ عِنْدَمَا يَأْتِيهِ أَمْرُ اللَّهِ يَنْقَادُ انْقِيَادًا تَامًّا وَيَكُونُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِ سَعَادَتُهُ وَفَلَاحُهُ وَصَلَاحُهُ وَنَجَاحُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

* الشَّرْطُ السَّابِعُ وَالْأَخِيرُ: الْقَبُولُ الْمُنَافِي لِلرَّدِّ، أَي يَقْبَلُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ وَلَا يَرُدُّهَا، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَنِ الْكَافِرِينَ الْمَشْرِكِينَ زَمَنَ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا هَذِهِ الْكَلِمَةَ ﴿١٠٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠٤﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿١٠٥﴾ [الصفات] لَمْ يَقْبَلُوهَا وَرَدُّوا هَذِهِ الْكَلِمَةَ، فَمِنَ الشُّرُوطِ وَالصُّوَابِطِ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ أَنْ يَقْبَلَهَا وَلَا يَرُدُّهَا. وَيَفْرُقُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بَيْنَ الْقَبُولِ وَالانْقِيَادِ أَنَّ الْقَبُولَ يَتَعَلَّقُ بِالْقَوْلِ وَالانْقِيَادَ يَتَعَلَّقُ بِالْعَمَلِ، هَذَا مِمَّا قِيلَ فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْانْقِيَادِ وَالْقَبُولِ، الْانْقِيَادُ يَسْتَسْلِمُ وَيَنْقَادُ لِأَمْرِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَالْقَبُولُ يَقْبَلُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ وَلَا يَرُدُّهَا.

هذه شروط (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) السبعة التي دل عليها كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أحد الإخوة بعث بورقة قال فيها: (الكفر بكل ما يعبد من دون الله) عدّه أحد العلماء وسمّاه ثامن

شروط (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فهل تعدّ أم لا؟

جواب هذا أنّ شروط (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) السبعة بعض أهل العلم زاد فيها شرطاً ثامناً أيضاً استنبطه من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الكفر والبراءة بما يعبد من دون الله، وبعض أهل العلم يقولون السبعة الشُّرُوطُ الْمَذْكُورَةُ دَالَةٌ عَلَىٰ ذَلِكَ وَمِنْ ذَلِكَ الْمَحَبَّةُ؛ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ لَا بَدَّ مَعَهَا مِنَ الْبِغْضِ، قَلْنَا فِي الْمَحَبَّةِ أَنْ تَحَبَّ مَا يَحِبُّ اللَّهُ وَتَبْغُضَ مَا يَبْغُضُهُ اللَّهُ مَا مَعْنَىٰ ذَلِكَ؟ مَعْنَىٰ ذَلِكَ الْبَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ مَا يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ،

فإذا أضيف هذا الشرط من باب زيادة البيان والإيضاح فلا إشكال في ذلك، وإلا فهو كما تقدّم داخل في هذه الشروط ودخل في ضمن الشروط السبعة المتقدمة، ولو أضيف لا إشكال لأنه يكون من باب زيادة البيان وزيادة الإيضاح.

أحد الإخوة أيضًا بعث بورقة وأراد أن أنبه على ما ذكرت، الرّازي أنا ذكرت رازيين في الكلمة، ذكرت أبو حاتم الرازي وذكرت فخر الدين الرازي، فأراد أن أنبه حتى لا يلتبس.

أبو حاتم الرازي هذا إمام من أئمة المحدثين.

والرّازي إمام من أئمة المتكلمين فخر الدين الرّازي، فيفرّق بينهما ولا يُظنّ أنهما رجل واحد، فخر الدين الرازي هذا من أئمة المتكلمين وله أشياء كثيرة في الكلام الباطل رد عليها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه العظيم «نقض التأسيس» أو «بيان تلبيس الجهمية» كله أو أكثره في الرد على فخر الدين الرّازي.

وأما أبو حاتم الرّازي فهذا إمام من أئمة السلف وعلم من أعلام أهل السنة.

في ختام هذه الكلمة أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم بأسمائه الحسنی وصفاته العليا أن يجعلنا وإياكم ممن يستمع القول ويتبع أحسنه، وأن ينفعنا وإياكم بما قلنا وسمعنا.

وإن كان لي وصية فإني أوصي فيما يتعلق بهذا الموضوع بقراءة بعض الكتب العظيمة النّافعة: ومنها «كتاب التّوحيد» للشيخ محمّد بن عبد الوهّاب، وكتابه «شروط لا إله إلا الله» وهو رسالة صغيرة في ثلاث صفحات تقريبًا فيها هذه الشروط وأدلتها.

وكذلك قراءة كتاب «معارج القبول» للشيخ حافظ الحكمي، وقد ذكرت لكم أبياته في أثناء الكلمة وقد شرح رَحِمَهُ اللهُ هو بنفسه الأبيات في كتابه «معارج القبول» شرحًا من أطيب وأحسن وأسلس ما يكون، وهذا الكتاب يقع في مجلدين وهو شامل لأبواب العقيدة كلّها وبأسلوب واضح ويسير وجمع فيه نصوصًا كثيرة من نصوص كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فأوصي بقراءة هذا الكتاب العظيم ولاسيما موضوعنا هذا موضوع (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وشروطها، فقد تكلم رَحِمَهُ اللهُ في هذا الموضوع كلامًا وافيًا شافيًا كافيًا.

وكذلك كتب أهل العلم الأخرى مثل «شرح كلمة الإخلاص» لابن رجب والآثار التي مرّت معنا قبل قليل كثير منها في رسالة ابن رجب شرح كلمة الإخلاص.

هذا وأسأل الله أن ينفعني وإياكم وأن يرزقنا وإياكم الموت على (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.